... مرْكَزُ النّورِ الإلٰهي...

وبعد الولادة الشريفة ، شاء الله تعالىٰ أن تكون مرضعته صلوات الله عليه حليمة السعدية ، حيث رأت وقومها من بركات الرسول ﷺ الشيء الكثير :

لقد بلغت بالهاشمي حليمة ... مقاماً علا في ذروة العزّ والمجدِ
وزادت مواشيها وأخصب ربعها ... وقد عمّ هذا السّعد كل بني سعدِ

ثم كانت حادثة شقّ الصّدر، ثم وفاة أمه آمنة وهو في الرابعة من عمره، فكفله جده عبد المطلب، ثم لما مات كفله عمه أبو طالب، فرأىٰ من الأمور العجيبة الشيء الكثير ، لذلك قال فيه قصيدة ، جاء فيها :

وأبيض يُستسقىٰ الغمام بوجهه ... ثمال اليتامىٰ عصمةٌ للأراملِ
يلوذ به الهلّاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ

ثم سافر مع عمه في تجارة إلىٰ بلاد الشام ، وهناك التقىٰ بالراهب بحيرىٰ .

ولما كبُر صلوات الله عليه تاجر بمال خديجة بنت خويلد ، وكان ذلك سبباً لزواجه منها رضي الله عنها .

ثم شاء الله تعالىٰ أن يكون بدايات البعثة ، حيث كان الرسول صلوات الله عليه في الأربعين من عمره، وكانت بدايات الوحي في غار حراء، وكانت أول آيةٍ نزلت عليه : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾ [العلق : ١] .

تأمل حراء في جمال محيّاه ... فكم من أناسٍ من حلا حسنه تاهوا
به خلوة الهادي الشفيع محمد ... وفيه له غارٌ له كان يرقاه
به مركز النور الإلهي مثبتاً ... فللّه ما أحلىٰ مقاماً بأعلاه

وأول ما أسلم به من الرجال: أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الأطفال

علي بن أبي طالب ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال رضي الله عنهم أجمعين.

واستمرّت الدعوة السرية قرابة ثلاث سنين ، حتىٰ أنزل الله تعالىٰ قوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٥].

أجل يا حبيب الحق يا رسول الله!

لقد وقف عُتاة المشركين ضدّك ، أمثال: الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والحارث بن قيس ، والأسود بن عبد يغوث ، والأسود بن عبد المطلب...

وأشاعوا الإشاعات الكثيرة ، وحاولوا إسقاط مواقعك ، وإرباك ساحاتك ، وضيّقوا الخناق عليك وعلىٰ القلّة الضعاف من أصحابك ، لكنك صبرت علىٰ ذلك كله ، وتوكّلت في كل أمورك علىٰ رافع السماء بلا عمد ، فنصرك نصراً مؤزّراً ، وأخزاهم الله سبحانه وتعالىٰ في الدنيا والآخرة.

* * *